# أشواك الربيع

أخذت أنظر وشريط ذكريات السويعات الأخيرة يتراءى أمام عيني، وصور أشلاء القاتل والمقتول المبعثرة تدفعني إلى البكاء والصراخ.

حاولت أن أجمعها ولكنني لم أستطع، تخطفها الكلاب الضالة المسعورة وفرت بها بعيدًا.

حاولت أن أطاردهم، ولكن ضاعت كل محاولاتي سدًى، فطلقاتهما ما زالت تتربص بنا جميعًا تتصيدنا منذ الصباح.

أمسكت بذراع أحدهم لا يعنيني من أي فريق هو، فكلنا أبناء وطن واحد فرقتها الأطماع.

جذبته من بين أنياب ذلك الكلب الضال المسعور، الذي أخذ ينبح بأعلى صوته وشرارات الحقد والغضب تتطاير من عينيه، وهو يهاجمني، ويتقدم خطوة ويتأخر أخرى، وأنا ما زلت أصده وأقذفه بالحجارة حتى تراجع وابتعد وانزوى بعيدًا بين الحطام.

عدت أحفر وأحفر لأواري ما تبقى من الذراع.

لحظات قليلة مرت عليَّ بقسوتها ومرارتها، رأيت نفسي تحترق والدماء تنزف هنا وهناك بين أبناء الوطن.. بين إخوة فرقتهم الأطماع.. أحسست بعدها بدمي يعود بدفئه رغم الآلام الشديدة، وبدأت أحرك قدماي على الحصى، وكأني أهرول على الأرض لألحق بركب النازحين، أحس بالخزي والعار، وكأن السماء ستتخطفنا، والأرض ستبتلعنا، والكلاب الضالة ستقطعنا إربًا إربًا، وكأنه قد أصابتنا لعنة.

بين معترك الطقس السيئ أصارعه، ويصارعني.. أصارع الموت ويصرعني، أتقدم تارة وأنسحب أخرى، وسط أشواك الربيع وقدماي تتناقل في بطء وتثاقل شديدين، كادتا أن تتوقفا تمامًا عندما أبصرته من بعيد وسط الظلام، فاتحًا ذراعيه تهزه الريح، وكأنه الموت يحتضنني.

كادت الدماء أن تتجمد في عروقي، ونبضات قلبي تتلاشى رويدًا رويدًا، حتى انهارت قواي جميعًا، وأسلمت نفسي لأول موجة من موجات النازحين ترميني هنا وهناك وسط الأشواك.

أراني أساق إلى حتفي، وأحسست ساعتها أنني هالك لا محالة مع الهالكين.

عدت أتخبط وأتشبث وأتحرك وأسكن حتى ابيضت عيناي، ووهنت قواي، ونحن نتحرك كالطوفان الصغير، وهو ما زال واقفًا فاتحًا ذراعيه وسط الظلام.

عدت أسقط على الأرض أستلقي على ظهري، وما زال قلبي الصغير مستمر في الخفقان، أزحف على الأرض بحذر شديد يتملكني الخوف.

أتذكر كيف أصبحنا إخوة أعداء، جماعات تتناحر داخل الوطن الواحد، كم كانت هزة عنيفة هزت أعماقي ووجداني، ودارت بي الأفكار والهواجس، وأحسست ساعتها بغصة في قلبي لن تُشْفَى وأحسست بالخوف والهوان!

بقايا الأشلاء المبعثرة على الأرض وسط الحطام، تبعث على النفس السوية الاشمئزاز والنفور.

لحظات قليلة اندلعت فيها نار الفتنة وشبكات الأخبار تتابع الأحداث عن كثب.

شريط باللون القرمزي أسفل الشاشة، ارتفاعُ عدد ضحايا الربيع العربي ورؤساء الدول ينعون بكل الحزن والأسى ضحايا التفجيرات.

لحظات قليلة مرت عليَّ وأنا ساكن أحس، وكأن الدنيا تطبق علينا بكل قوتها لتلفظنا وتكاد السماوات أن تتخطفنا.

أخذت أزحف وأزحف حتى اصطدمت به، فَخَرَّ مغشيًّا عليّ في مكاني.

عدت في الصباح على حرارة الشمس تكاد أن تحرقني لأجدني وسط الأشواك يحرسنا خيال المآتة.